حين، ثمّ هي لا تلبث أن تستفيق. كذلك هي حالنا مع سائر شهواتنا مهما يكن نوعها. فما اللذات نجنيها ما بين حسية ومعنوية غير مخدّرات للشهوات المصوّبة إليها. وعلى عكسها الآلام بأنواعها. فهي منبّهات لا مخدرات. فنحن إذ نستسلم للأحلام الزاهيات والآمال العذاب إنّما نخدّر رغباتنا في الوصول توّاً إلى ما نحلم به ونؤمله. ونحن إذ تنهشنا الخيبة وتمشي في دمائنا مرارة الفشل إنّما نتنبّه إلى أن رغبة من رغباتنا لم تتحقّق. فعلينا أن نوقظ قوانا من غفلتها وأن نعيد تنظيمها وتدريبها لنسلك إلى غايتنا طريقاً غير الذي سلكناه.

ليس بمجدٍ في حربنا مع الألم أن نجرع الكثير من مخدّرات اللذة. فالمخدّرات المعنوية، كالمخدرات الحسيّة، تتحوّل سُمّاً زعافاً إذا هي استعملت لغير غاياتها وبأكثر من مقاديرها. أما الوسيلة الوحيدة للتغلّب على الألم فهي انتزاع الشهوة بجذورها من القلب كيما ينعتق القلب من ضرورة تخديرها وتنبيهها والامتثال لسلطانها. وتلك هي رسالة الدين. وهي رسالة يتعذّر فهمها والعمل بها إلّا على القلوب التي توحّدت شهواتها في شهوة واحدة: شهوة الحرية المطلقة التي لا تكون بغير المعرفة المطلقة. ولا تتوحّد الشهوات إلّا في القلوب التي خبرت المخدّرات والمنبهات خبرة طويلة